ملامح العدمية في نصوص تشيخوف المسرحية

Features of Nihilism in Chekhov's Theatrical Texts

ا.م.د. علي كريم حسون الركابي

Assistant Professor Dr. Ali Kareem Hassoun Al-Rikabi

جامعة بابل / كلية الفنون الجميلة

University of Babylon / College of Fine Arts

Ali.kareem.alrekaby1966@gmail.com

ملخص البحث :

تعد العدمية واحدة من ابرز التيارات الفلسفية التي شغلت الفكر الإنساني الحديث. اذ تقوم على التشكيك الجذري في المعاني التقليدية المرتبطة بالحياة والقيم والحقائق المطلقة . فهي استجابة فكرية حادة لسقوط الأنظمة الميتافيزيقية والدينية وتعبيرا عن ازمة الانسان المعاصر الذي وجد نفسه وجها لوجه امام كون صامت لا يعبأ بوجوده ولا يمنحه غاية مسبقة. هذه الفكرة تناولها العديد من كتاب المسرح لاسيما تيشخوف الذي فتح الأبواب بتساؤلاته حول جدوى الحياة ومصير الانسان ، وما اذا كان هناك معنى حقيقي يمكن التمسك به . او ان كل المعاني مصطنعة وهشة وعابرة. من هذا المنطلق انو لدت فكرة بحثنا الحالي الذي جاء بأربعة فصول اتسم الفصل الأول بمشكلة البحث والتي جاءت وفق التساؤل الآتي (كيف تجسدت ملامح العدمية في نصوص تشيخوف المسرحية)، واهمية البحث والحاجة اليه ومن ثم هدف البحث وحدود البحث وأخيرا تحديد المصطلحات وتعريفها ، اما الفصل الثاني فجاء بثلاث مباحث تعنونه المبحث الأول ب العدمية مفاهيم ورؤى اما المبحث الثاني فكان بعنوان العدمية في النص المسرحي وجاء المبحث الثالث تحت مسمى المرجعيات الفكرية والفنية للكاتب أنطوان تيشخوف، اما الفصل الثالث فقد احتوى على إجراءات البحث التي شملت مجتمع البحث وعينة البحث ومنهج البحث واداة البحث ليختتم بفقرة تحليل العينة ، اما الفصل الرابع فقد اشتمل على النتائج ومن اهمها(الشخصيات تنتظر التغير لكن بمرور الزمن يقتل الطموح ويعمق الشعور باللاجدوى) ، والاستنتاجات ومن اهمها (الحياة ليست سلسلة من الاحداث الموجهة نحو غاية ، بل انتظار طويل لشيء لا يحدث ابدا . ليختتم البحث بقائمة المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية : الملامح ، العدمية ، نيتشة ، اللاجدوى

Research Summary:

Nihilism is considered one of the most prominent philosophical currents that has preoccupied modern human thought. It is based on a radical skepticism toward traditional meanings associated with life, values, and absolute truths. Nihilism represents a sharp intellectual response to the collapse of metaphysical and religious systems, and expresses the crisis of modern man who finds himself face to face with a silent universe that neither cares about his existence nor grants him a predetermined purpose. This idea has been addressed by many playwrights, especially Chekhov, who opened the door with his questions about the and whether there is any true meaning that can be held onto, or if all meanings are artificial, fragile, and transient. From this perspective, the idea of our current research was born, which is structured into four chapters. The first chapter addresses the research problem, which is based on the following question: *What are the reasons that led Chekhov to gravitate toward nihilism in his theatrical texts?* It also includes the importance of the research and the need for it, followed by the research objective, the scope of the study, and finally, the definition and clarification of key terms.

As for the second chapter, it consists of two sections. The first section is titled *Nihilism: Concepts and Perspectives*. The second section was titled *Nihilism in the Theatrical Text*. The third chapter included the research procedures, which covered the research population, research sample, methodology, and research tool, concluding with the sample analysis section. The fourth chapter presented the findings, among the most important of which was: *The characters wait for change, but as time passes, ambition fades and the sense of meaninglessness deepens.* It also included the conclusions, the most significant being: *Life is not a series of events directed toward a purpose, but rather a long wait for something that never happens.* The research concludes with a list of sources and references.

Keywords: features, nihilism, Nietzsche, Chekhov.

الفصل الأول (الاطار المنهجي)

مشكلة البحث :

تعد النزعة العدمية من الاتجاهات الأدبية المنبثقة من احدى المدارس الفلسفية التي ترى الحياة الجديدة مفتقرة الى المعنى او القيمة الجوهرية ، لذا فهي تدل على اشكال الياس والفراغ والتفاهة التي عاشها الوجود الإنساني في تلك الحقبة من الزمن ، وهي ، من بعد ذلك ، تسعى الى تحرير الانسان من جميع المعايير الزائفة المسيطرة على التفكير الإنساني باسم الدين والخرافات المتوارثة والمعايير التقليدية والأفكار المرتفعة ، التي تجعل الانسان داخل دائرة الاستعباد الفكري والجسدي وتعوق سعادته .

فهي فلسفة تمرد على مظالم التاريخ وعلى المدنية الزائفة ، لذا طالبت بالتجرد وانتزاع الانسان من كافة الزخارف الحضارية وابادة التقاليد التاريخية . وهذا يعني ان فكرتها الأساسية الرفض باسم الحرية الشخصية ، اذ انعكس هذا المفهوم على معظم المفكرين والكتاب وعلى كافة الأصعدة ومنهم الكاتب الروسي (انطوان تشيخوف) الذي عاش هو الاخر حياة مضطربة منها الازمة الصحية التي رافقته والعزلة والاغتراب الذاتي والتقلبات السياسية ، الامر الذي سعى من خلاله الى تركيز مجمل اعماله الأدبية على تصوير الواقع القاسي ومناقشة الحياة اليومية المضطربة بموضوعية وتقديم إجابات او حلول واضحة المعالم .

فجاءت كتاباته زاخرة بالتمرد ضد الضغوط الأخلاقية التي ترهق الحياة الداخلية للفرد بدأً من العائلة وانتهاءاً بالمجتمع فهو شاهد على مظاهر الفساد والانحلال وافساد الضمائر ، لذا رفض تشيخوف جميع المبادئ الدينية والاخلاقية ، والاعتلاء بمنزلة الانسان ونضجه والبحث عن الجمال والابداع والسعي لإشباع الرغبات الحقيقية من خلال استكشاف الجوانب العميقة والمعقدة للحياة الإنسانية . وبناءاً على ذلك تشكلت مشكلة البحث وفق التساؤل الاتي (كيف تجسدت ملامح العدمية في نصوص تشيخوف المسرحية).

أهمية البحث والحاجة اليه :

١- تسليط الضوء على تداعيات العدمية في نصوص تشيخوف المسرحية .
٢- الوقوف على المسببات التي دعت تشيخوف الى توظيف العدمية في نصوصه المسرحية
٣- كيف عالج تشيخوف عدمية الحياة في نصوصه المسرحية

اما الحاجة اليه فهو يفيد الباحثين والمشتغلين بحقل النقد والادب المسرحي .

هدف البحث:

التعرف على ملامح العدمية في نصوص تشيخوف المسرحية .

حدود البحث:

الحد الزماني: ١٨٨٦ – ١٩٠٤

الحد المكاني: روسيا.

الحد الموضوعي: دراسة ملامح العدمية في نصوص تشيخوف المسرحية .

تحديد المصطلحات:

الملامح: اصطلاحا :

عرفها ابن هاديه بانها " ما بدى من محاسن الوجه ومساوئه" [١]

ويعرفها عصفور بانها " السمات البارزة او الخصائص التي تميز ظاهرة أدبية او شخصية او اتجاه فني عنى غيره "[٢]

العدمية : اصطلاحاً

عرفها مدكور بانها " نزعة تقوم على النفي والانكار في الفلسفة والأخلاق والسيادة فتنكراي حقيقة ثابتة على الاطلاق " [٣]

وعرفها الزايد بانها " معاناة لاعقلانية يمر بها الشعور الإنساني الواعي ويعاينها، وهي لحظة معاناة عدمية العدم بوصفها حاملا أولاني لمشكلة المعنى " [٤]

وعرفها نبيشة على انها " حالة انتقالية وهي في شكلها الأقصى تعبر عن الانتقال الى الانحطاط، عن المرور الى العدم " [٥].

التعريف الاجرائي:

ملامح العدمية :

هي رصد المؤشرات اللغوية التي تتجسد في الاقوال والافعال والحوارات المغرقة في التشاؤم او المشاهد التي تؤكد الانحدار والتحلل الاجتماعي والروحي، والتي تعبر عن عبثية الوجود والسوداوية التي تكرس للانتظار العقيم والانحدار نحو الفوضى التي تتجلى بالشخصيات التي تفقد الحافز للعمل وتعيش في حلقة من التكرار والاستسلام وعدم الرغبة بالمقاومة عبر

الفصل الثاني (الإطار النظري)

العدمية: مفاهيم ورؤى

يعد مصطلح العدمية من المصطلحات التي تنتمي الى فلسفات ما بعد الحداثة، الا ان الجذر الحقيقي لهذا الاتجاه الفكري يعود الى العصر الاغريقي، حيث انتشار الاعمال المسرحية التي تناولت فكرة العدم وصراع الانسان مع الاقدار والمصائر الحتمية والتي تمثل دفاع الانسان عن وجوده واحقيته بالحياة واثبات ذاته وكينونته، وقد تطورت هذه الافكار وتبلورت عبر الزمن، اذ تناولتها الأديان المختلفة بصور ومعاني متفاوتة ومختلفة وصولاً الى صورتها الحالية في العصر الحديث

التي اعتقدها الدارسون في الحقل الثقافي . الا ان ما يميز هذا الاتجاه هو معارضاته للقوى المهيمنة التي تسلب حرية الانسان ، لذلك جاءت العدمية كردة فعل على كل المتعاليات التي حطت من شأن الانسان وادت الى هلاكه ، ساعية للإعلاء من شانه والتأسيس لمؤثثات بديلة تسعى لبداية حياة إنسانية جديدة تتسم بالإرادة .

وهذا ما سعى لأجله الفيلسوف الألماني (فردريك نيتشة ١٨٤٤-١٩٠٠) بقوله على الانسان بان يكون الأقوى والارقى والاسمى ا والعدمي المكتمل ، لينقل بذلك العدمية من شكلها السلبي الذي يقوم على التشاؤم والنظرة السوداوية للوجود التي تبناها في بداية مشواره الفلسفي ومن سبقه في هذا المضمار مثل كير كيجارد ، كامو، سارتر ، شوبنهاور ، ... الى الشكل الفعال المتمثل بالقوة بكل ما تحمله من معنى .[٦]

فقد أراد (نيتشة) اعدام كل القيم السائدة في عصره من اجل إحلال قيم جديدة محلها ، وهذا يعني ان عدميته إيجابية لا سلبية فقد أراد ان يبث الحماس في الحياة الى جانب الاكتشاف والتغير والتجديد والمغامرة ، لذا ضمت

العدمية بين جناحيها مفاهيم ومعاني مثل (التحول ، الحركة ، الصيرورة ، الانتقال ، التطور) . وهذا يشمل جميع المرتكزات الإنسانية الفكرية منها والفنية، فتاريخ الانسان هو تاريخ التحولات او تاريخ العدم. [٧] بالرغم من الفعاليات العديدة التي يحتويها، الا انه في نهاية المطاف يصب فيما يحتاجه المجتمع وبنيته الحضارية بكل ما يحتويه من تحولات وانتقالات وتطورات لتدفعه الى اكتشاف بنى او مناطق جديدة.

فالعدمية مثلت طابعا لظاهرة إنسانية من خلال التحول والتحرك القيمي في الجانب الفلسفي والإنساني ومنذ نشأتها الأولى الى يومنا هذا، وقد ارتبط هذا التحول بتحولات الأشياء والثغرات المصاحبة للكون والزمان والحياة بصورة عامة، هذا التحول وهذه الثغرات هي إحساسا معرفياً وسيكولوجيا مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالحضارات المتعاقبة التي سيطرت على الانسان بكافة مفاصله الحياتية ، لذا جاءت العدمية لتكون ثورة ذاتية على الواقع ، ولكن بصفات واشكال متعددة ، اذ اخذت " اشكالاً أخرى من خلال الانجراف وظهور عصابات الشباب وادمان أفلام الرعب او العنف وظهور اشكال من الشباب الذين يعيشون فلسفة العبث ويسخرون من النظام والقواعد " .[٨] فأصبحت الحياة عبارة عن صورة تتسم بالسوداوية كردة فعل على الضغوط التي تواجه الفرد ، والتي يمر من خلالها بحالة من الاجهاد النفسي لتؤدي بالتالي الى انسان عدمي مكتئب يتعايش مع عوالم مملوءة بالصراعات والتناقضات ، وهذا يعني ان العدمية تدل على شكل الوجود الإنساني الذي يمتاز باليأس والفراغ والتفاهة ، لذا فهو يميل الى " ان يكون قاسياً او انانياً وحتى مجرماً ، وفي الوقت نفسه يفقد معنى الحياة ، ولذلك يميل الى الياس والانتحار " .[٩] هذا التحول في البنية الاجتماعية نظر اليها فلاسفة العدم بزوايا متعددة ومغايرة للواقع ليحدثوا ثورة فكرية تنسجم مع منظومة الحياة الجديدة ومنهم .

آرثر شوبنهاور (١٧٨٨-١٨٦٠) :

ان فلسفه شوبنهاور العدمية تعتمد على مبدا الإرادة وعلاقتها بالإنسان وبالتالي هو ينظر في فلسفته على ان الألم الذي يعيشه الانسان من جراء ممارسته للإرادة ، وعليه لابد من اتخاذ طريق التخدير لتلك الإرادة ليصل في النهاية الى العدم . وهذا ما يجعله يعيش في غيبوبة صوفيه يخترق من خلالها كل الحجب التي ترمز الى الوهم ومن ثم الوصول الى الطابع الانكاري لإرادة الحياة . [١٠] فالإرادة وفعلها في نظر شوبنهاور هي فاقدة للشعور والعقل وهي ليست القوة النفسية التي تدار من العقل لإنها قوة غير عقلانية تنفلت من بودقه الزمان والمكان لترزح خارجهما ، وبالتالي نظر شوبنهاور الى الإرادة بوصفها إرادة ايجابيه وذلك لقدرتها وفعاليتها وديناميتها على التغيير وامكانيه صياغه العالم لحملها الديمومة والاندفاع والقوة والامل .[١١] اذن الإرادة هي من تعطي الفرد مفتاح وجوده في الحياة ، وهي التي تكشف عن دلالاتها وتجعله يطلع من خلالها على القوة الداخلية

التي يتألف منها وجوده وافعاله وحركاته ، فالإرادة خالدة للأقوياء لا للفقراء وبالتالي هي جوهر الوجود ، فهو يرى ان البشر كأفراد لا أهمية لهم ، فهم ليسوا سوى تجسيدات للنوع عابرة وسرعان ما يحل محلها الجيل اللاحق ، فالإنسان من وجهة نظره " لا يولد عدمياً لكنه يصبح كذلك (...) فهو لا يولد مجرماً ولا مجنوناً ولافناناً (...) فان مصير الجنون والمبدع مسألة تتعلق بالظروف ". (١٢)

وبناءاً على ذلك فهو يرى ان السعادة الحقيقية للإنسان هي عدم ولادته ، لان الوجود مفعم بالعدم واليأس والتشاؤم والشرور ، وعليه اصبح الوجود للحياة في نظره عبارة عن شرور متكررة قائمة على التشاؤم فهو يعتقد ان جميع ظواهر الوجود هي من تمثل مظاهر الحياة التي يسعى اليها الانسان جاهداً لإشباع حاجاته الخاصة وعلى نحو لامتناهي ، وبالتالي جموح تلك الرغبات الإنسانية ، وضعف الإرادة في السيطرة عليها يتحول وجوده الى مصدر للوجع .

فردريك نيتشة (١٨٤٤-١٩٠٠) :

تكاد تكون نظرية نيتشة العدمية الوحيدة التي انطلقت من منطلق سياسي ومن رحم الحروب ، حيث كان كتاب (مولد التراجيديا) الذي قدم فيه مبدأين الأول : "المبدأ الديونيسي وهو مبدأ الفوضى والاحلام والسكر ، والمبدأ الابولوني وهو مبدأ النظام وإعطاء الشكل وكلاهما يرتبط بنزعة جمالية تتعلق بالحياة باعتبارها عملاً فنياً " . (١٣) وهذان المبدآن هما بلورة لأفكاره العدمية التي تبناها ، ولعل مصطلح العدمية قد استعاره (نيتشة) من كاتب فرنسي مغمور يدعى (بول يورجيه) الذي اصدر كتابا بعنوان (مقالة حول النفسية المعاصرة) عام ١٨٨٣، ويرى فيه ان العدمية مرض أوربا الحديثة فهي تعني لديه التعب والارهاق الذاتي ، بل الرغبة في الانتحار وتدمير الذات ، بمعنى ان الفرد عليه ان يقدم نفسه لكل شيء ، لأنه لا يؤمن بشيء او انه يؤمن ان العدم افضل من الوجود ، لذلك فانه يضع حداً لحياته عن طريق الانتحار ، الا ان (نيتشة) يرى المفهوم بمعنى آخر ، اذ أراد ان يبث الحماس في الحياة ، والاكتشاف والتغير والتجديد والمغامرة ، بمعنى أراد (نيتشة) اعدام كل القيم السائدة في عصره من اجل إحلال قيم جديدة محلها . (١٤)

فهو يرى ان القوة الكاوية للنزعة العدمية قوية جدا ومطلقه فهي تنكر القيم العليا ذاتها وتتطلب تنصلا جذريا منها ومن المعاني المفروضة ، فالعدمية هي فضح لكل المعتقدات والحقائق المقدسة التي تعمل على تقويض السلطة المعرفية والوجود على الأرض فهو يعتقد ان المسيحية مثلا هي مضادة لقيم الحياة السلمية ، أي قيم العالم الأرضي الذي نعيشه لان المسيحية تركز على الرهبنة والمحدودية والتقشف والزهد وبالتالي سوف تصنع انساناً

محاطاً ومكبلاً لا يستطيع ان ينهض بواقعه ، لذلك فهو يسعى الى حب الحياة والعيش فيها دون ازدراء او احتقار.

على ضوء ما تقدم نجد نيتشه قد رفض جميع المبادئ الدينية والأخلاقية، فالحياة المكبلة من وجهه نظره لا معنى لها فهي عديمة القيمة وخاليه من أي مضمون او معنى حقيقي ، لذلك هو يسعى في عدميته الى تذكير الانسان بحدوده حتى يستغل حياته استغلالاً عدميا ، وبذلك ينضج فكره ويترفع عن مرتبه الحيوان الذي لا يدرك معنى العدم ، فالعدم هو الوجه الاخر للوجود وفيه " تتجلى القوى لدى الانسان في الاستقلالية والابداع والتحكم بالنفس والالتزام بالفضيلة ومغالبه الظروف وقهر الصعاب والسمو بنفسه او الرقي بها " .[١٥] وبالتالي هو ركز على إرادة القوة وعدها احد المرتكزات الأساسية في فلسفته المتشائمة ، بل عدها سلاحاً فعالاً موجهاً لكل النواميس والاعراف المقيدة لإرادة الانسان الذي ولد تحت طائله القوالب الجامدة والمفاهيم المجردة التي تحجمه وتضيق عليه حريته ، لذلك هو يسعى الى حث الانسان على امتلاك تلك الإرادة وبالتالي عليه المجازفة واثبات وجوده . فالإرادة التي ناشد بها نيتشه هي صراع من اجل الوجود ، بل هي الدافع الحقيقي للتطور،على الرغم من انها معارضه للعقل ، لأنها تمتاز بنزعه لا شعورية مميزة وبصورة فطريه ، وهي القوة المحركة لمختلف الأفعال البشرية .[١٦] فالإرادة عند نيتشة هي اساس كل فردية وجوهر وجودها ، لأنها مرتكز لإثبات الذات وتأكيدها ، وهذه الإرادة لا تتحقق الا من خلال إيقاظ العقل البشري ، والنهوض به الى عالما رحبا بعيدا عن المحدودبة والقدرة البشرية " وما فكرة العدم الا استنشاط للإدراك العقلي واتخاذ موقف ناضج من الحياة وتحفيز الجنس البشري والارتقاء به واستعلائه واستبصاره بخصوصيته الذاتية المميزة له عن الحيوان" [١٧]

اذ يرى نيتشه ان البشر لديهم إمكانيات محدودة للغاية وعلية لابد من مساعدتهم على ادراك وجودهم بالاعتماد على مبدا النقيض وهذا الامر لا يتحقق دون التصرف الحكيم في هذه الإمكانيات وادارتها بجدارة من اجل تجنب الشعور بالذعر والهروب الى اليأس والخنوع او المبالغة في الاعتقاد بالأفكار المبالغ فيها والخارجة عن نطاق السيطرة ومن ثم يتحول الانسان الى عالم مجذوب منفصل عن الواقع .

جان بول سارتر (١٩٠٥-١٩٨٠):

ان مفهوم العدم عند سارتر هو صفة مصطنعة ، لأنه لامعنى له الا من وجهة ما هو نفي الشيء ، ومعنى ذلك انه لاوجود للعدم بذاته وانما الوجود للكائن الذي يتصور عدم الأشياء ، فكأن العدم لا يجيء الى العالم الا عن طريق الانسان ، وبما ان العدم هو ملازم للوجود ، بل هو يقترن بالفاعلية الإنسانية وينتج منها فقدانها لحاجات

معينة ، وعلى ضوء ذلك يقول سارتر " العدم لا يمكن ان يكون عدماً الا اذا انعدم بحق بوصفه عدماً للعالم، أي اذا كان في إعدامه يتجه بحق الى هذا العالم لكي يتكون كرفض للعالم ، فالعدم يحمل في قلبه الوجود " .[١٨]

كما بين سارتر ان مفهوم العدم هو " صفة مصطنعة، لأنه لا معنى له الا من جهة ما هو نفي شيء ما او فقدان شيء ، ومعنى ذلك انه لاوجود للعدم بذاته ، انما الوجود للكائن الذي يتصور عدم الأشياء ، فكأن العدم لا يأتي الى العالم الاعن طريق الانسان " [١٩] وهذا يعني ان العدم هو عدم في نظر الانسان ذاته بالقياس اليه ، وليس عدما في الوجود الموضوعي نفسه مستقلا على الانسان . ومن هنا كان الانسان في فلسفه سارتر لا يستطيع اعدام أي موجود موضوعي في ذاته وانما كل ما يستطيع فعله هو اعدام هذا الموجود بالنسبة له وفي نظره فحسب ، أي انه يستطيع ان يعدم صلته باي موجود لا ان يعدم الموجود في ذاته. [٢٠]

لقد ظهر العدم بصورة واضحة عند سارتر نتيجة تاثره ب (هايدجر ١٩٨٩-١٩٧٦) ومؤلفه (الوجود والزمان) على الرغم من ان هايدجر صرح لاحقا بانه اساء فهم سارتر ، فالعدم عند هايدجر هو ليس مجرد مقوله منطقيه وحسب وانما هو أيضا في اصله مقوله وجوديه (انطولوجية) فليس النفي هو أساس العدم انما هو العدم (الموجودي) الذي يأسس النفي ، لذا يحدد هايدجر العلاقة بين الموجود والعدم على النحو التالي

١- الموجود هناك ليس له عمق ، بل يأتي من جوف هاوية بلا نهاية ومن العدم

٢- ان نهايته هي الموت ، وهو هاوية أخرى للعدم

٣- ان محض وجود الموجود هناك هو ركض نحو الموت الى العدم : ان الموجود هناك محمول بذاته في داخله نحو العدم .[٢١]

فالعدم هو من يأتي بكل موجود من حيث هو موجود ، وهذا يعني ان العدم هو موجود جامد فج بغير وجوده ، بل هو النور الطبيعي الذي يهب الموجودات بنية ومعنى .

المبحث الثاني : العدمية في النص المسرحي

تحدثنا في المبحث الأول عن العدمية ومفاهيمها ورؤاها الفلسفية وعرفنا بان العدمية تعني الانكار المطلق لكل فكر إيجابي مثل (القيم الأخلاقية ، المبادئ الدينية ، ....) فالعدمية تعتقد بان لا يوجد هنالك ثمة شيء ذو قيمه بل ان العالم كله بما في ذلك الوجود الإنساني هو خالي من أي مضمون او معنى حقيقي ، وعلى وفق هذا المنظور انحصر دور الاديب العدمي في تذكير الانسان بحدوده حتى يستغل حياته استغلالا عدميا وبذلك ينضج فكره نضجا يرفعه من مرتبه الحيوان الذي لا يدرك معنى العدم الى مرتبه الاديب المدرك له . [٢٢]

وهذا يعني ان الاديب يلغي بدوره الفواصل بين العلم والفن ، لأنه هو من ينفذ من خلال الموت والبشاعة والعنف والقبح الى معنى الحياة العدمية ، لان العدم هو الوجه الاخر للوجود . فالهدم المستمر للمعاني الحقيقية والدلالات ذات المعنى الإيجابي جعل الحياة لا قيمه لها ، فالمعتقد العدمي يرزح تحت طائله الاعتقاد بان الحياة لا يجود فيها منظومة قيمية من المعتقدات والعادات التي يمكنها ان توجه الانسان نحو جادة الصلاح ، وهذا يعني ان العدمين يسعون من اجل المستقبل ، ولكن ليس لأنفسهم ، سواء في هذه الحياة اوفي الحياة الأخرى التي لا يؤمنون بها يقول تشرنشفسكي " بانه لا يريد لنفسه أي نوع من الحرية " [٢٣]

ان نكران الذات يجعله بعيدا عن الانانية فهذه القدرة على التضحية تجعل الناس يعتنقون النظرة المادية للحياة والانسحاب عن هذا العالم الزائف الراقد في الشر ، لذا فالعدمي يحاول ان يقطع صلته عن الاسرة وعن كل أوجه الحياة معتقدا بان هذا الفعل هو الحل الاسمى والاصوب ، محقق بذلك حرية ذاتية ولكن هذا لا يعني انه يحيد عن كراهية هذا العالم الذي بدأت منه كل المعتقدات الأولى التي حجمت عقل الانسان وقولبته بحجة الايمان والدين والأخلاق و..... ،فالكاتب العدمي يرى ان العالم المادي المحدود والضيق عالم بائس لأنه ليس هنالك حدود تقف عندها انانيه هذا العالم وجشعة وضيق افقه ، لذلك هو لا ينغمس في هذه الحدود ولا يسمح لذاته ان يسيطر عليها نفس الغباء ، حسب معتقدهم الذي سيطر على تصرفات بعض الناس في الحياة اليومية ، غباء يدفعهم الى التطاحن والقسوة والعنف والظلم والاذلال مع ادراكهم الكامل ان العدم والفناء هو بانتظار الجميع ، وهذا يعني ان العدمية هي ليست مجرد بث روح الياس والخضوع في نفوس الناس ، لكنها مواجهه شجاعة وصريحه لحقائق الوجود ، أي ان العدمية هي تشريح لذلك الوجود والكاتب العدمي هو خير من يعبر عن هذه الحقيقة بدافع بث روح الارتقاء الإنساني ، بما هو جديد ليؤكد وجوده .[٢٤] وعلية انساقت العدمية الى توكيد النزعة الإنسانية والايمان بها على أوضح صورة عرفتها الآداب ، فجاءت بوصفها ردت فعل ضد الأوضاع التي نالت من كرامة الانسان واضطهاد حريته والتنصل من توفير مستلزماته الضرورية للعيش الكريم لذلك قالوا " ان للحياة معنى يرتقى من خلالها الانسان لتحقيق وجوده ". [٢٥]وعليه اقامت العدمية مرتكزاتها النفسية على الأسس المعرفية لكل من سوريين كير كيجارد الايماني ومارتن هيدجر الالحادي مع امتداداتها الى كل من نيتشة وماركس وهيجل ، ثم جاءت إضافات سارتر وكامو وديوبيفوار وغيرهم ، عاكسة الآثار الاجتماعية والنفسية التي خلفتها الحروب المجنونة والصدامات الدموية على المجتمع الغربي ، حيث تغير السؤال الفلسفي الغربي من مصداقية المعرفة ونوع اليقين الى السؤال عن محنة الانسان وازمته وماهيته مقابل وجوده المحاصر بجميع أسباب القهر ، بعد ان تبين ان الانسان يعيش داخل كهف افلاطوني ما ان يغادره حتى يصاب بالغثيان ، وهكذا اكتشف

العدمي خيبة امله لجميع الحلول ، مثلما خاب امله في العلم والحركات السياسية والاجتماعية والاجوبة التقليدية المطروحة على الساحة الغربية ، لذا اقترحت العدمية الحل السلبي لمشكلة الانسان وهو (الانتحار) بعدما ظهرت آثار العلم وهي تهدده في اكثر من حلقة ، اخطرها ما لحق بالبيئة المجتمعية من اضرار واستغلال للطبيعة والانسان استغلالاً بشعاً رافقه نمو سرطاني للرأسمالية من شكلها (الكولنيالي) ف(الامبيريالي) وصولاً الى صورتها (السوبر امبرياليي) . (٢٦)

واذا ما عدنا بعجلة التاريخ نجد ان نصوص شكسبير قد حملت المفاهيم العدمية بمعناها الصريح والمتداول في يومنا هذا ولكن برؤى وآليات مختلفة ، ومثال ذلك مسرحية ماكبث حينما حانت نهايته صب غضبه واشمئزازه من الحياة فيقول

ماكبث : " كذا يزحف الزمن بحركته البطيئة من يوم الى آخر ، وحتى آخر كلمة في سجل الدهر ، فما أيامنا السالفة الا شموع أضاءت الطريق للحمقى الى الموت والى تراب القبر .. فلينطفئ إذن ضوء هذه الشمعة الضئيلة! ما الحياة الا شبح يمر، او هي كممثل ردئ يخطر ساعة او بعض ساعة على خشبة المسرح مزهواَ بنفسه، يرغي ويزيد، ثم يختفي الى الابد.. ماهي الا قصة يرويها ابلة ، ملئها الجعجعة والجلبة ، دون معنى او مغزى" .(٢٧)

يوضح لنا شكسبير من خلال هذه الحوارات الى ان العدم ينفي الحياة ، لأنها لا تعني الكثير فهي حياة مزدراء مستمرة في عالم بلا قيمة منزوعة من المعنى والغرض تتقدم باتجاه اللاشئ ، لأنها مرتبطة بالإحباط المفرط للإنسان ، فكل معتقد وكل وجود هو زائف لأنه حسب اعتقاد العدمين ليس هنالك عالم حقيقي ، لذا يتبرأ العدمي من كل كلفة للقيم وللمعاني المزيفة .

اما مسرحية كاليكولا للكاتب الفرنسي (البير كامو) تجسدت فيها العدمية وفي عدت مواضع منها .

كاليكولا : " ماذا افعل : لم يعد لدي أي شيء لأخافه او ارجوه انني أرى الان ان العالم كله عبث ، وكل شيء غير مهم لن تكون هناك نهاية لهذا العبث الا اذا تحررنا من الفكرة القائلة بان الحياة لها معنى " (٢٨)

كاليكولا : " أخيرا ادركت فائدة السلطة ، انها تعطي للمستحيل حطوطا ومن الان فصاعدا ، سوف اترك العنان لحريتي لتجول أينما تريد دون حدود "(٢٩)

وفي موضع آخر يقول

كاليكولا : " لم ينقى أي شيء لا الشرف ولا الوقار ولا الاسم الطيب ولا الكلمة الازلية ، ولم تعد الخصال تعني أي شيء ، جميعاً تختفي امام الجزع " . (٣٠)

يذهب كامو من خلال حواراته في المسرحية الى تمجيد الحرية الفردية التي كانت دائما هي ضالته وموضع حمايته ، فالحرية او التمرد الذي ينشئه بعدميته من خلال حواراته هي مطلب انساني ، الا ان تحقيقه صعب المنال ضمن الحقبة الزمنية التي عاشها البير كامو والتي افرزت الفقر والمرض والجهل والحرمان وخلفة جيشاً من البائسين والمحرومين والثائرين ، فجاءت العدمية تعبيرا عن تلك الحياة التي استعصى فهمها الدقيق ضمن الوظيفة الانسانية ، فحاول من خلال مسرحيته ان يسلط الضوء على خواء الانسان والاستسلام للقهر والطغيان ، وبالتالي عليه ان يثأر ضد هذا الزيف وهذه المعتقدات ، فالمسرحية هي هزة عنيفة لتحقيق الحرية والتعبير عن الذات الإنسانية بكل معانيها الايديلوجية ، فاستحضر كامو فلسفته مباشرة على مسألة الظروف التي جعلت من السلطة أداة او وسيلة لقتل المدنيين الأبرياء وعليه سعى لان يكون الفرد مستعدا بحياته من اجل تأكيد واحترام حريته ونظامه الأخلاقي .

وفي مسرحية في انتظار غودو للكاتب الايرلندي (صموئيل بيكيت " ١٩٠٦– ١٩٨٩) تجسدت ملامح العدمية في الحوارات التالية .

استرجون : " لم نعرف هل نحن ننتظر غودو او اننا ننتظر شيئا آخر ، الوقت لا يعني شيئاً " (٣١)

يعبر بيكت في هذا الحوار عن الفراغ الوجودي وعدمية اليقين ، حيث لا يوجد هدف او معنى حقيقي للانتظار

وفي حوار لفلاديمير يقول فيه

فلاديمير : " لننتظر لاشئ آخر لنفعله سننتظر ، لماذا ؟ لأننا لا نعرف ماذا نفعل غير ذلك ، سننتظر غودو " .(٣٢)

استرجون : " امضيت حياتي الحقيرة في الزحف وسط الرمال . وتريدني ان أرى فروقاً ، انظر الى هذه القذارة لم اغادرها ابداً " . (٣٣)

في هذا الحوار يعكس بيكت فكرة العدمية من خلال شعور الشخصيات بالانتظار بلا معنى او هدف واضح.

وفي حوار آخر

فلاديمير : " نحن نعيش او على الأقل نعتقد اننا نعيش ، لكن كل شيء بلا جدوى فالموت يلاحقنا " .(٣٤)

يظهر بيكت في هذا الحوار الإحساس بالعبثية وعدم المعنى في الحياة ، حيث يعتبر فلاديمير ان الحياة نفسها لا تمثل الا شعوراً بالوجود المؤقت والمهدد .

من خلال هذه الحوارات تتبلور رؤيا الكاتب من ان العالم المادي عالماً محدود وضيق ، عالم بائس ليس فيه حدود تقف فيه رغبات الانسان ويأسه ، عالم ينغمس فيه الانتظار القاتل الذي يبث روح اليأس ، ومن ثم تشريح ذلك العالم الزائف الذي ينتظره ، فالكاتب يعكس من خلال حواراته المسرحية حالة العجز والتسليم والهلع والجزع والانتظار اللانهائي التي تصاب بها الشخصيات، مما يعكس العبثية التي تدور حول فكرة العدمية في المسرحية ، من خلال حوار الشخصيات المعبرة عن شعورها بالفراغ وعدم الجدوى لهذه الحياة ، فحياتهم مليئة بالانتظار والعجز في مواجهة الغموض الوجودي الذي يتسم بعدم المعنى ، لذا جاءت المسرحية مزدحمة بهلوسات لا جدوى لها في ظل الواقع الاجتماعي الذي يعاني من اللاستقرار السياسي والاقتصادي واللاجدوى التي اصابت المجتمع الأوربي بعد الحرب العالمية الثانية .

واذا ما انتقلنا الى العدمية الروسية لوجدنا بان هنالك عدمية تنكر الله والنفس والروح وكافة المعايير والقيم العليا ، ومع كل هذه الاتجاهات نجد ان العدمية في المجتمع الروسي ظاهرتها دينية لأنها نمت على التربية الارثوذكسية والتي تنظر الى " ان العالم كله غارق في الشر ، وان الثراء والترف والألوان والايغال في الفن يعد خطيئة واثماً " (٣٥)

هذه النظرة الارثوذكسية وطبيعة المجتمع الروسي ساعدت على ظهور هذا اللون الديني بداً من المدارس اللاهوتية التي شاعت لروح الالحاد والتطرف العدمي تماشياً مع الطابع (المكسمالي)*الفطري الذي يتسم به المجتمع الروسي ، كما ان التقلبات السياسية والاجتماعية قد افرزت طبقات مجتمعية غير متساوية منها الطبقات المحظوظة المتمثلة (بالأشراف والنبلاء ورجال الدين وأصحاب الثروات وملاك الأراضي) اما الشريحة الثانية فتمثلت بطبقة (المعدمين المضطهدين مثل الفلاحون والصناع والعمال وعامة الشعب) لقد افرز هذا الفارق الطبقي شبابا متطرفاً اتخذ من العمل الثوري سبيلاً للتحرر ، فأصبحت نظرتهم للحياة نظره مشتمله على التدمير والاطاحة بكافة القيم التي لا اساس لها في حياتهم اليومية .

المرجعيات الفكرية والفنية للكاتب أنطوان تيشخوف :

أنطوان تيشخوف كاتب مسرحي وقصصي روسي ، ولد في ٢٩/ يناير ١٩٨٠ في مدينة تاغا نروغ الروسية وتوفي في ١٥/ يونيو ١٩٠٤ في مدينة بونفايفن في المانيا ، نشأ تيشخوف في اسرة متوسطة الحال في احدى مدن جنوب روسيا ، كان والده تاجراً ومتجرداً من العلم ، وعلى الرغم من ان العائلة تملك منزلاً ومحلات تجارية الا انها تأثرت بالفقر والمشاكل المالية ، مما انعكس سلباً على ذاته وبالتالي إصابته بمرض السل وهو في الثلاثينيات من عمره مما اثر على صحته بشكل كبير .

تلقى تيشخوف تعليمه الأول في المدينة التي ولد فيها ثم انتقل الى دراسة الطب في جامعة موسكو ، الا ان الفقر قد اخذ مأخذه بحيث لم يستطع دفع رسوماته الدراسية ومصاريفه الحياتية ، وعلى الرغم من كل هذه الارهاصات التي رافقته اصبح طبيباً مشهوراً ، كانت هذه الفترة من حياته مليئة بالتعامل مع الفقراء والمرضى مما اثر بشكل مباشر على رؤية تيشخوف الفكرية ونظرته الإنسانية وبالتالي تجسيده للشخصيات في اعماله الأدبية ، لكنه اخذ يسأم هذه الحياة العملية ويستهويه عمل الادب فنشر عدة اقاصيص في بعض الصحف ، وكان يؤجر عليها ، لان موارده في العيش أصبحت ضئيلة ، هذه الاقاصيص لم تنم على رضا تيشخوف في حينها لأنها كانت تكتب لاجتذاب القراء وتسليتهم في أوقات فراغهم فقط ، فهي اقاصيص لا تنطوي على فلسفةً او غاية معلومة ، الا انه سرعان ما تبلورت واتسعت آفاقه العقلية ، فترك هذا الجو الصبياني ودخل جو ملؤه الدراسة الإنسانية بكافة مجرياتها وآلامها التي طوقت روحه العذبة بالحزن والكآبة ، الى جانب ذلك كانت بلدته تكابد عناء الحروب بين روسيا وتركيا ، هذه الحرب التي كانت ثمرتها تحرير بلغاريا ، وبالتالي اوحت الى الروس بإدراكهم لحريتهم مما أثارت في الشباب العزيمة ، الا ان هذه الجهود ذهبت ادراج الرياح من خلال التدخلات الرجعية ، الامر الذي تبخرت فيه الاحلام والامنيات فعرى النفوس شيء من الذهول او التخدير وبالتالي تملكت نفسه اليأس والعجز والعزلة .

اما عن علاقاته الاجتماعية ، فقد كان تيشخوف شخصية ودودة ومرحة ، وكان يحظى بصداقات واسعة في الأوساط الأدبية والثقافية ، مما ساعده ذلك على الانتقال بين العواصم الثقافية ليشارك في مناقشاتها وطروحاتها مع رهط الكتاب والفنانين المشهورين في عصره ، كما ان حياته الاجتماعية كانت متنوعة اذ عكست التحولات والتحديات التي مر بها خلال فترة حياته اثراً كبيراً على اعماله الأدبية ورؤيته للعالم والمجتمع ، كما ان الثورة والانقلابات السياسية والتغيرات التي رافقتها والتغير الجذري في البنية المجتمعية تركت آثارها عليه ايضاً ككاتب ينظر الى العالم برؤية المبدع المتبصر، فجسدها في كتاباته على مستوى القصة والمسرحية على حد سواء

متناولاً فيها التباينات الطبقية والثورة الاجتماعية وتأثيراتها على الفرد ، اذ كان يصور الحياة الاجتماعية بواقعية شديدة بمراراتها وانتكاساتها وبؤسها كما تناول قضايا الطبقات الاجتماعية المختلفة كالفقراء والمنبوذين والمهمشين والظلم الاجتماعي لتلك الطبقات مما جعل شخصيات مسرحياته بؤرة تشابكات وصراعات درامية تعكس التوترات النفسية والارهاصات الاجتماعية من خلال اللغة المباشرة والبسيطة التي تعبر عن الشخصيات وتوجهاتهم بشكل فعال .

وعلى مستوى الدربة الفنية فقد تأثر تشيخوف بشكل مباشر بمسرحيات شكسبير وابسن وشومان وستروفسكي مما حدى به الى دراسة تلك الشخصيات ومسرحياتهم دراسة فنية وثقافية وادبية لدرجة ان تلك الاعمال كان لها الأثر الكبير في نمط كتاباته المسرحية ورؤيته الأدبية والفلسفية .

اما على الصعيد المحلي (روسيا) فقد تأثر تيشخوف بأعمال (روسبين والكسندر بوشكين ونيكولاي غوغل ... وغيرهم) من الكتاب الروس مما سعى به الى تطوير مساره الفني وبناء شخصياته وحبكة مسرحياته ولغة اعماله

كما ان للفلسفة الروسية والمذاهب الفكرية الأثر الواضح والاكبر في بلورة أفكاره واتجاهاته المعرفية والفكرية والأدبية، فقد تأثر بالفلسفة الديكادانسية والفلسفة التشاؤمية وكذلك أفكار فلاديمير سولوفيوف ، ومن خلال هذه التأثيرات المتعددة الأدبية والفلسفية التي درسها او استوحى منها حياته الأدبية جمعت اعمال تيشخوف المسرحية العمق النفسي والتحليل الاجتماعي العميق . [٣٦]

المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري:

١- غياب المعنى والقيمة الحياتية مما يؤدي الى الشعور بعدم الجدوى والتشكيك بوجود قيم ثابتة ذات معنى حقيقي.
٢- التعبير عن القلق والفراغ الذي يواجه الكثير من الناس في ظل عالم يبدو غير منطقي وغير معقول.
٣- رفض القيم التقليدية والأخلاقية والدينية التي لا تستند الى أساسا موثوقا لفهم العالم.
٤- التعبير عن الفوضى والعدم في اشكال فنية تركز على التجريب وعدم الاتساق.
٥- التعامل مع الأسئلة الأكثر عمقا حول وجود الانسان، والدعوة للتأمل والتفكير النقدي حول القيم والأفكار البديهية.
٦- تصوير الاغتراب والفراغ الوجودي وعدم القدرة على إيجاد المعنى او الهدف في الحياة.
٧- انتقاد المؤسسات الاجتماعية والتقاليد البالية التي لا تلبي احتياجات الافراد.

٨- ضرب المقدس والسلطات المفروضة على الفكر الإنساني التي تكبل حركته نحو التخطي والتجاوز.

٩- التمرد على مظالم التاريخ وعلى المدنية الزائفة والتجرد من كل زخارف الحضارة.

١٠ - التعبير عن مشاعر الفراغ والعجز واللامبالاة وعدم القدرة على تغير الواقع

الفصل الثالث (إجراءات البحث):

مجتمع البحث:

اشتمل مجتمع البحث على (٩) مسرحيات ظهرت فيها ملامح العدمية وكما مؤشر في الجدول رقم (١)

جدول رقم (١)

ت	اسم المسرحية	سنة التأليف
١	مضار التبغ	١٨٨٦
٢	اغنية التم	١٨٨٧
٣	ايفانوف	١٨٨٧
٤	طلب زواج	١٨٨٨
٥	الممثل المأساوي دون قصد	١٨٨٩
٦	النورس	١٨٩٦
٧	الخال فانيا	١٨٩٧
٨	الشقيقات الثلاثة	١٩٠١
٩	بستان الكرز	١٩٠٤

عينة البحث : اختار الباحث مسرحية واحدة بالطريقة القصدية كونها تندرج ضمن مجريات البحث وهدفه وكما مثبت في الجدول رقم (٢) .

جدول رقم (٢)

ت	اسم المسرحية	سنة التأليف
١	الشقيقات الثلاثة	١٩٠١

أداة البحث: اعتمد الباحث المؤشرات التي اسفر عنها الاطار النظري كأداة لتحليل عينة بحثه.

منهج البحث: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي بوصفه الأسلوب الأنسب والأكثر موائمة للوصول الى تحقيق هدف البحث .

تحليل العينة :

اسم المسرحية : الشقيقات الثلاثة

سنة التاليف : ١٩٠٤

فكرة المسرحية :

تدور احداث المسرحية حول ثلاث شقيقات ، (ماريا ، اولغا ، ايرينا)، الآتي يعيشن في مدينة روسية صغيرة نائية . تتبدل احوالهن بعد وفاة والدهن ذو الرتبة العسكرية المرموقة ، اذ تبدأ الصراعات الذاتية والموضوعية بعد عودتهن من مراسيم دفن والدهن من خلال البحث عن حياتهن الشخصية وتعاملاتهن مع احلامهن وطموحاتهن لاسيما شخصية (اولغا) التي فاتها قطار العمر ولم تتزوج ، والاخت الصغيرة (ايرينا) التي تبحث عن حياة جديدة كي لا يصبح مصيرها مثل مصير اختها (اولغا) اما الأخت الثالثة فهي متزوجة ولكن لا يوجد انسجام بينها وبين زوجها الذي يكبرها بالعمر .

هذه الاحداث قد ولدت صراعات بين الواقع والخيال بين العيش في هذه القرية النائية وبين طموح الحياة في موسكو العاصمة التي يرين فيها مركزاً للحياة الأفضل ، لكنهن يواجهن تحديات حياتية مختلفة ، ويكتشفن في النهاية ان الحياة ليست كما يتوقعنها .

المسرحية مليئة بالموضوعات والمواقف العدمية مثل البحث عن معنى الحياة ، الاحباطات الشخصية ، الحاجة الى التغير ، البحث عن السعادة . اذن هي استعراضات للذات الإنسانية وتطوراتها النفسية ، وكذلك

استعراض لعلاقة الانسان مع ذاته والعالم من حوله ومدى انكسار الذات في خضم المحيط المأساوي الذي يعيشن فيه .

تحليل المسرحية :

تجسدت ملامح العدمية في نص (الشقيقات الثلاثة) من خلال عكس حالة الفراغ النفسي والتشاؤمي والإحباط العميق واللامبالاة رغم الطموح الذي تمتلكه الشخصيات الثلاثة ، الا انها عاجزة عن تحقيق أي شيء ذو معنى في حياتهن (العمل ، الزواج ، الحياة الهانئة ، .....) لاشيء فالعجز والفشل هو الذي يخيم على حياة الشخصيات ، اذ تبدو حياتهن عبارة عن سلسلة من الإخفاقات والامل الضائع .

وهذا ما نجده في حوار اندريه شقيقهن حيث يقول :

" نحن نعيش هكذا (...) بلا معنى ، نكدح ، نتعب ، نأكل ، ننام ، ثم نبدأ من جديد وكأننا لانعرف لماذا ... " (٣٧)

في هذا الحوار يعبر لنا تيشخوف عن روتين الحياة اليومي الذي يولد الانعزال والغربة داخل الذات الإنسانية ، ومن ثم الانكسار الروحي ، فأندريه الأخ الوحيد بين ثلاث اخوات مثقفات يحمل هو كذلك احلاما مثلهن ، لكنه يسقط في طاحونة الحياة اليومية وألآلية التي يعيش فيها البشر وكأنهم مبرمجون دون هدف ، فالحوار يصور لنا كيف ان الطموح الفردي يذوب في مجرى الحياة الاجتماعية الفارغة .

اما ايرينا فتصف حياتهن بانها ساقطة داخل دائرة اليأس والكأبة فتقول :

" نحن الشقيقات الثلاث لم تكن حياتنا حتى الان رائعة ، لقد طغت علينا كالأعشاب الطفيلية ، دموعي تسيل .. لا داعي لهذا ، ينبغي ان نعمل ، ان نعمل ، اننا نشعر بالكآبة وننظر الى الحياة بهذا البؤس " (٣٨)

ايرينا في هذا الحوار لا تصرخ ضد الألم او الفقر او الظلم ، بل ضد العدم نفسه ، ضد الشعور للعيش بلا اثر ، كأن الحياة لم تكن رائعة ، بل لم تكن أصلا ، فالرائعة هنا لا تعني السعادة فحسب ، بل هي إشارة الى المعنى والجدوى الذي غاب عنهن ، اما استعارة تشخوف للأعشاب الطفيلية هو من اجل ان يرسم صورة عن العدم لان الأعشاب لا تنمو بذاتها بل تتغذى على غيرها ، وهذا ما تحسه ايرينا عن حياتهن التي غطتها قوى خارجية (المجتمع ، الزمن، الرتابة) فهن لم يعشن حياة ذاتية النمو او المعنى بل حياة مفروضة عليهن ، دون ان يشاركن في رسم مصيرهن ، لذا لا تطالب ايرينا بحل ولا تثور ، بل تتكلم بوجع هادئ

وتتماهى مع الشعور بان اللاشئ اقرب من كل شيء فإحساسهن بالزمن معدوم لانه ضائع وان الماضي لم يعد والحاضر خانق والمستقبل غامض فلا يوجد وعد بالتغير فقط التآكل البطيء للوجود فالزمن تقاطع مع العدم في دائرة الإحساس البشري .

وفي حوار آخر لها تعبر فيه عن احساسها بالعجز والفراغ فتقول :

ايرينا: " لقد حلمت طوال حياتي ان أعيش في موسكو ، ولكنني الآن لا استطيع حتى التفكير في ذلك ، لاشئ يحدث ، ولا استطيع ان افعل شيئا ، الحياة في هذه البلدة لامعنى لها " [٣٩]

انعكست فكرة العدمية من خلال الحياة في تلك القرية النائية التي اتسمت بالركود والتكرار لكل شيء ، فالشخصيات عالقة في دائرة من الروتين الذي لانهاية له ، المكان الذي تجري فيه الأحداث يعزز الشعور بالقيود والانسداد في حياة الشخصيات التي لاتبدو عليها التغير والتحسن في الحياة القادمة .

وما يعزز هذه الفكرة حوار اولغا اذ تقول :

" نحن جميعا نعيش في هذه البلدة الصغيرة ، وننتظر شيئا ما يحدث ... ولكن في الحقيقة لاشئ يحدث .." ٤٠

اما ماشا فتعبر من خلال حوارها عن فقدان الامل والتسليم بالواقع فتقول :

ماشا : " لن نتمكن من مغادرة هذا المكان ، هذا مستحيل ، ماذا يمكننا ان نفعل ؟ حتى لو كنا في موسكو ، اعتقد اننا تعيش نفس الحياة " [٤١]

هذا الحوار يعبر عن خيبة الامل الذي تشعر به ماشا اذ تظن انه حتى اذا تحقق حلمها في الانتقال الى موسكو ، فان حياتهن لن تتغير ، وهذا ما يعكس فلسفة العدمية حيث افتقاد الايمان والقدرة على تغير الواقع او إيجاد معنى حقيقي لهذه الحياة .

وفي حوار لتشيوتكين احد شخصيات المسرحية تتضح فيه العدمية حيث يقول :

" ربما يبدو لنا فقط اننا موجودون ، بينما في الحقيقة لاوجود لنا " [٤٢]

في هذا الحوار يحاول تشخوف ان يشكك بالجوهر الإنساني ، بقوله (هل نحن موجودون) بمعنى هل وجودنا حقيقة ام مجرد وهم وخداع ادراكي ، العدمية هنا ليست موقفا عدائيا ضد العالم ، بل انهيار داخلي

صامت ، كما لو ان الذات قد انفصلت عن واقعها ولم تجد فيه رسوما او دلالة ، فشخصية تشيوتشكين شخصية كئيبة ، متقلبة ، ساخرة ، عاجزة ، لذا عبرت من خلال هذا الحوار عن حالة الاغتراب التي تعانيها كل الشخصيات ، فالحوار هنا هو تعبير عن صرخة متعبة من رجل لم يعد يؤمن بشيء .

اما شخصية فيرشينين فتتحدث عن قساوة الحياة وعدميتها حيث يقول :

" الحياة قاسية ، انها تبدو للكثيرين منا صماء لا امل فيها (...) في السابق البشرية مشغولة بالحروب ، تملأ كل كيانها بالحملات والغزوات والانتصارات ، اما الان فقد اندثر كل ذلك ، مخلف ورائها مكانا ضخما خاويا " (٤٣)

الشخصية هنا لا تجد في الحاضر سوى الضياع لكنها تتمسك بإيمان هش ، فهي تعتقد ان المستقبل وان كان بعيدا سيحقق معنى لوجود الانسان ، فالشخصية هنا تمزج بين المأساة والفكر العدمي بطريقة وجودية تتجاوز العدم باتجاه إرادة القوة ، أي ان العدمية في النص عدمية مؤجلة ، لذا لاوجود لاي معنى الان ، بل تتأمله في المستقبل ، أي ان المعاناة الراهنة هي تضحية لزمن لن تعيشه الشخصيات .

وفي حوار للشقيقة اولغا يحمل بين طياته جوهر الوجودية العدمية ، حيث تقول :

" سيمر زمن ونرحل نحن أيضا الى الابد ، وسينسانا الناس ، سينسون ملامحنا واصواتنا وكم كان عددنا ، لكن آلامنا ستصيح افراحا لم يعيشون بعدنا " (٤٤)

هذا التأمل الذي تطرحه اولغا هو تأملا في الفناء تطرحه لا بصيغة مأساوية، بل كحقيقة باردة فكلمة لاشئ ستبقى تحمل رفضا ضمنيا لفكرة الخلود او القيم المتوارثة، لقد حاول تيشخوف عبر شخصية اولغا ان يضع الانسان أمام مرآة الزمن ليقول له الحاضر سيغيب كما غاب الماضي، والذكرى هشة مثل الوجود نفسه.

هذا الاعتراف يمثل جوهر العدمية: نفي الجدوى من الفعل، والشعور بان العمر ينقضي في اللاشئ وبهذا يوجه صدمة للوعي الإنساني واطلاعه على انهيار صورة الذات التي يعيشها الانسان، فالإنسان فارغ في جوهره ولكنه يعيش وسط قالب بسيط وحي.

الفصل الرابع (النتائج والاستنتاجات)

النتائج :

١- عدمية تيشخوف ليست موقف سلبي او يأس وجودي سطحي، بل رؤية عميقة تكشف عن ازمة المعنى في الحياة الحديثة.

٢- العدمية في نصوص تيشخوف تظهر في مالا يقال من خلال نظرات الشخصيات، الحوارات الناقصة، النهايات المفتوحة، ضجيج الحياة اليومية.

٣- عدمية تيشخوف هي عدمية الوعي المرهق، الوعي المعلق، بين حلم لا يتحقق وواقع لا يطاق.

٤- العدمية في مسرحية (الشقيقات الثلاث) هي مرآة للانهيارات النفسية والأخلاقية والفكرية للإنسان الروسي.

٥- شخصيات مسرحية (الشقيقات الثلاث) تحلم بأشياء متعددة (العمل، السفر، الحب، المستقبل، ....) لكنها لا تفعل شيئاً فعلياً لتحقيقه أي احلامها مؤجلة او ميؤوسة.

٦- الشخصيات تتكلم عن المستقبل والعقل والتقدم، لكن حياتهم مليئة بالفوضى والفراغ.

٧- الشخصيات تنتظر التغير لكن مرور الزمن يقتل الطموح ويعمق الشعور بالاجدوى .

٨- شخصيات المسرحية مثقفة وحساسة، لكنها مشلولة ومحطمة تعاني من فقدان المعنى دون القدرة على التمرد، أي هشاشة الذات امام الفراغ الروحي والاجتماعي.

الإستنتاجات:

١- الحياة ليست سلسلة من الاحداث الموجهة نحو غاية، بل انتظار طويل لشيء لا يحدث ابداً.

٢- رغم وعي الانسان ببؤسه، يبقى عاجزاً عن تغير مصيره، أي الوعي لا يقود بالضرورة الى فعل.

٣- العدمية تبرز من خلال فقدان الايمان باي خلاص قادم، فكل شيء مؤجل الى اجل غير مسمى، وحتى الامل يظهر كنوع من الخداع النفسي.

٤- العدمية تتجلى في انعدام الفهم المشترك بين البشر، لان الانسان يعيش بعزلة حتى وسط عائلته ومجتمعه.

٥- الزمن ليس عاملاً في التقدم او الخلاص، بل عنصراً يعمق الغربة ويثبت عبث الوجود.

٦- الانسان يسعى وراء معان مختلفة، يخلقها بنفسه ليقنع ذاته بجدوى وجوده، وهي معان سرعان ما تتهاوى امام الصمت الكوني.

٧- العدمية عند تيشخوف ليست دعوة للتغير يل توصيف دقيق لانعدام الجوهر، وهو ما يجعلها أكثر قساوة وواقعية.

احالات البحث :

[١] – علي بن هادية وآخرون ، القاموس الجديد الالفبائي ، ط٥ ، تونى : الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٨٤ ، ص ١٩٨

[٢] – جابر عصفور : مفهوم الشعر –دراسة في التراث النقدي ، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ١١٢

[٣] – إبراهيم بيومي مدكور وآخرون ، المعجم الفلسفي ، القاهرة : اصدار معجم اللغة العربية ، ١٩٧٩ ، ص ١١٨

[٤] – محمد الزايد ، اللحظة العدمية المتعالية – ميتافيزيقيا الثورة ، بيروت : منشورات عويدات ، ١٩٨٢، ص ٣٠

[٥] – نقلا عن ، هجران عبد الاله احمد الصالح ، الانسان والاغتراب في فلسفة نيتشة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ٢٠٠٢ ، ص ٦٠

[٦] – ينظر : محمد فضيل شناوة ، الإرادة في الفلسفة والنفس والمسرح ، العراق : مؤسسة الصادق الثقافية ، ٢٠٢٤ ، ص ٩٨

[٧] – منذر فاضل حسن الدليمي ، العدمية في رسم ما بعد الحداثة ، الأردن : دار صفاء للنشر والتوزيع ، ٢٠١٢، ص ١٥

[٨] – عبد الوهاب المسيري ، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ، القاهرة : دار الشروق ، ٢٠٠٧ ، ص ١٧٨

[٩] – نبيل رشاد سعيد ، الفلسفة الوجودية عتد نيقولا بردیائیف ، العراق : دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٦ ، ص ٥٢

[١٠] – ينظر : منذر فاضل حسن الدليمي ، العدمية في رسم ما بعد الحداثة ، مصدر سابق ، ص ص ١٢٤–١٢٥

[١١] – ينظر : محمد فضيل شناوة ، الإرادة في الفلسفة والنفس والمسرح ، مصدر سابق ، ص٨٩

[١٢] – نانسي هيوستن ، اساتذة اليأس النزعة العدمية في الادب الأوربي ، تر: وليد السويركي ، أبو ظبي : هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، ٢٠١٠ ، ص ٤٧

[١٣] – جون ليتشة ، خمسون مفكراً اساسياً من البنيوية الى ما بعد الحداثة ، تر: فاتن البستاني ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٣٨

[١٤] – ينظر : منذر فاضل حسن الدليمي ، العدمية في رسم ما بعد الحداثة ، مصدر سابق ، ص ١٢

[١٥] – فردريك نينشه ، إرادة القوة محاوله لقلب كل القيم ، تر: محمد الناجي ، المغرب :افريقيا الشرق ،٢٠١١ ، ص٦

[١٦] – ينظر ، حسن الكحلاوي ، الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٤ ، ص ص ١١٤–١١٧

[١٧] – بولس سلامة ، الصراع في الوجود ، القاهرة : دار المعارف ، د .ت ، ص٤٣

[١٨] – Sartre g.p: Being and Noth ingress, an Essay on Phenological Ontology, Trans by. Hazel.E.Bames, Rou Ledge, Landon,1969,P.I

[١٩] – جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢ ، ص ٦٥

[٢٠] – ينظر، حبيب الشاروني ، ازمة الحرية بين بريجسون وسارتر ، مصر : دار المعارف ، ١٩٦٣ ، ص١١١

[٢١] – إ .م . بوشنكي ، الفلسفة المعاصرة في اوربا ، تر: عزت قرني ،سلسله عالم المعرفة ، ع ١٦٥، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،١٩٩٢ ، ص٢٢٧

[٢٢] – LOOKED AT OXFORD ADVANCED LEARNER DICTIONARY . (OXFORD UNIVERCITY , ٧ EDITION ٢٠٠٥,P.١٠٢٩

[٢٣] – نبيل رشاد سعيد، الفلسفة الوجودية عند نيقولا بردیائیف ، مصدر سابق ، ص٥٤

[٢٤] – ينظر : نبيل راغب ، المذاهب الادبية من الكلاسيكية الى العبثية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٥ ، ص١٧٠

[٢٥] – جان بول سارتر ، الوجودية مذهب انساني ، تر : عبد المنعم الحنفي ، القاهرة : مطلعة الدار البيضاء ، ١٩٦٤ ، ص ٦٥

[٢٦] – ينظر، علي حسين الجابري ، الفلسفة الغربية من التنوير الى العبثية، عمان : دار مجدلاوي، ٢٠٠٧، ص ص ٢٣١ – ٢٣٣

[٢٧] – وليم شكسبير ، مسرحية ماكبث ، تر : حسين احمد امين ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٩٤ ، ص ١٢٧

[٢٨] – البير كامو ، مسرحية كاليكولا ، تر : يوسف إبراهيم الجهيماني ، سوريا : دار حوران للطباعة والترجمة والنشر ، د.ت ، ص ٢١

[٢٩] – المصدر نفسه ، ص ص ٢٨ – ٢٩

[٣٠] – المصدر نفسه ، ص ٤٤

[٣١] – صموئيل بيكت ، مسرحية في اانتظار غودو ، تر : بول شاوول ، بغداد : منشورات الجمل ، ٢٠٠٩ ، ص١٠٩٠

[٣٢] – المصدر نفسه ، ص ١٢٢

[٣٣] – المصدر نفسه ، ص ١٤٧

[٣٤] – المصدر نفسه ، ص ١٦٦

[٣٥] – نبيل رشاد سعيد، الفلسفة الوجودية عند نيقولا برديائيف ، مصدر سابق ، ص ص ٥٢ – ٥٣

*(المكسمالي) هو التطرف ، وبخاصة الاشتراكي المتطرف الذي ينادي بضرورة الاستيلاء الحاصل على السلطة بوسائل ثورية

[٣٦] – ينظر : ابراهيم الزيني ، تشيكوف ، القاهرة : كنوز للنشر والتوزيع ، د.ت ، ص ص ٦٧ ، ١٠٧

[٣٧] – أنطوان تيشخوف : الاعمال الكاملة (المسرحيات) ، مج ٤ ، تر: عادل زعيتر، القاهرة : دار فروس للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦ ، ص ٢١٨ .

[٣٨] – المسرحية ، ص ٢٤٥

[٣٩] – المسرحية ، ص ٢٥٩

[٤٠] – المسرحية ، ص ٢٦١

[٤١] – المسرحية ، ص ٢٦٦

[٤٢] – المسرحية ، ص ٢٨٨

[٤٣] – المسرحية ، ص ٣٢٢

[٤٤] – المسرحية ، ص ٣٢٨

قائمة المصادر :

- **المعاجم :**
- **بن هادية ، علي ، وآخرون ، (القاموس الجديد الالفبائي ، ط٥ ، تونى : الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٨٤) .**
- **صليبا ، جميل ،(المعجم الفلسفي ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢).**
- **مدكور ، إبراهيم مدكور، وآخرون ، (المعجم الفلسفى ، القاهرة : اصدار معجم اللغة العربية ، ١٩٧٩).**
- **المصادر :**
- **بوشنكي ، أ .م ، الفلسفة المعاصرة في اوربا ، تر: عزت قرني ،سلسله عالم المعرفة ، ع ١٦٥، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،١٩٩٢).**
- **الجابري ، علي حسين ، الفلسفة الغربية من التنوير الى العبثية، (عمان : دار مجدلاوى، ٢٠٠٧).**
- **الدليمي ، منذر فاضل حسن ، العدمية في رسم ما بعد الحداثة ، (الأردن : دار صفاء للنشر والتوزيع ، ٢٠١٢).**
- **راغب ، نبيل ، المذاهب الادبية من الكلاسيكية الى العبثية ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٢٠١٥).**
- **الزايد ، محمد ، اللحظة العدمية المتعالية – ميتافيزيقيا الثورة ، (بيروت : منشورات عويدات ، ١٩٨٢).**
- **الزيني ، إبراهيم ، تشيكوف ، (القاهرة : كنوز للنشر والتوزيع ، د.ت) .**
- **سعيد ، نبيل رشاد ،الفلسفة الوجودية عتد نيقولا برديائيف ، (العراق : دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٦).**
- **سلامة ، بولس ،الصراع في الوجود ، (القاهرة : دار المعارف ، د .ت) .**
- **سارتر ،جان بول ، الوجودية مذهب انساني ، تر : عبد المنعم الحنفي ، (القاهرة : مطلعة الدار البيضاء ، ١٩٦٤).**
- **شناوة ، محمد فضيل ، الإرادة في الفلسفة والنفس والمسرح ، (العراق : مؤسسة الصادق الثقافية ، ٢٠٢٤) .**
- **الشاروني ، حبيب، ازمة الحرية بين بريجسون وسارتر ، (مصر : دار المعارف ،١٩٦٣).**
- **عصفور ، جابر ، مفهوم الشعر -دراسة في التراث النقدي ، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤).**
- **الكحلاوي ، حسن ، الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٤).**
- **ليتشة ، جون، خمسون مفكراً اساسياً من البنيوية الى ما بعد الحداثة ، تر: فاتن البستاني ،(بيروت: المنظمة العربية للترجمة ، ٢٠٠٨).**
- **المسيري ، عبد الوهاب ، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ، (القاهرة : دار الشروق ، ٢٠٠٧).**
- **نيتشه ، فردريك ، إرادة القوة محاوله لقلب كل القيم ، تر: محمد الناجي ، (المغرب :افريقيا الشرق ،٢٠١١).**
- **هيوستن ، نانسي ، اساتذة اليأس النزعة العدمية في الادب الأوربي ، تر: وليد السويركي ، (أبو ظبي : هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، ٢٠١٠).**
- **الرسائل والاطاريح :**
- **الصالح ، هجران عبد الاله احمد ، الانسان والاغتراب في فلسفة نيتشة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ٢٠٠٢).**
- **المسرحيات :**
- **بيكت ، صموئيل ، مسرحية في انتظار غودو ، تر : بول شاوول ، (بغداد : منشورات الجمل ، ٢٠٠٩).**
- **تيشخوف ، أنطوان ، الاعمال الكاملة (المسرحيات) ، مج ٤ ، تر: عادل زعيتر، (القاهرة : دار فروس للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦).**
- **شكسبير ، وليم ،مسرحية ماكبث ، تر : حسين احمد امين ، (القاهرة : دار الشروق ، ١٩٩٤).**
- **كامو ، البير ، مسرحية كاليكولا ، تر : يوسف إبراهيم الجهيماني ، (سوريا : دار حوران للطباعة والترجمة والنشر ، د.ت).**
- **المصادر الأجنبية :**
- **LOOKED AT OXFORD ADVANCED LEARNER DICTIONARY . (OXFORD UNIVERCITY , 7 EDITION 2005,P.1029**
- **Sartre g.p: Being and Noth ingress, an Essay on Phenological Ontology, Trans by. Hazel.E.Bames, Rou Ledge, Landon,1969,P.l**